مجلة اللغة العربية وآدابها
السنة ١١، العدد ١، ربيع ١٤٣٦ هـ
صفحة ١٢٥- ١٣٦

# التكرار من منظار علم لغة النص ودوره في تماسك النص على نظرية هاليداي وحسن (الخطبة القاصعة من نهج البلاغة أنموذجا)

آفرين زارع[1]*، نجمة سلطان آبادي[2]

١. أستاذة مساعدة، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة شيراز
٢. ماجستير في اللغة العربية وآدابها من جامعة شيراز

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٥/٣/٢ ؛ تاريخ القبول: ٢٠١٥/٥/٣)

## خلاصة القول

التكرار على نظرية هاليداي وحسن هو إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو اسم عام أو كلمة شاملة. يشيع التكرار في الكلام التلقائي ويرجع شيوعه إلى قصر زمن التخطيط. لهذه الظاهرة النصية فوائد؛ حيث أدى إلى أن يعمد الأدباء منذ القدم إلى استخدامه في نصوصهم. منها أنه يربط بين المحتوى القَضَوي للجمل في أجزاء النص المتباعدة، ويساعد في تحديد القضية الأساسية والكبرى في النص، مؤكداً على محتوى معين أو تكرار الكلمات المفاتيح. ستدرس هذه المقالة دور التكرار من منظار علم لغة النص في تماسك النص على نظريه هاليداي وحسن مطبقة إياه على خطبة من خطب نهج البلاغة ألا وهي الخطبة القاصعة، فالمنهج المتبع وصفي- تحليلي. حظيت لفظة الجلالة بأكثر عناية في الخطبة القاصعة للإمام علي عليه السلام حيث تكررت أربعين مرّة فيها. هناك مجموعات ـ وهي من أنواع التكرار ـ ساهمت في إحكام نسيج الخطبة؛ ثماني فِرَق من الكلمة العامة وأربع فرق من الكلمات الشاملة. التكرار من منظار نحو النص يحظي بعناية كبيرة في الخطبة القاصعة؛ وذلك بسبب خاصية التكرار للتوازن بين المعلومات الجديدة والقديمة في النص وبالتالي تسهيل فهم القضية للمتلقّي. الكلمات الأكثر تكراراً في الكلمات العامة هي ما ترتبط بالإنسان، وبعد ذلك ما ترتبط بالزمان والاسم الدال على حقيقة. الإنسان، الفُرَص والزمن، ونهاية أمره... كل هذه الكلمات تجعل الإمام يفكر فيها ويحدّث بها أبناء أمّته.

## الكلمات الرئيسة

التكرار، التماسك النصي، نظرية هاليداي وحسن، الخطبة القاصعة.

---

* الكاتبة المسؤولة
Email: dr.afarin.zare@hotmail.com

**مقدمة**

لا يخفى أن للتكرار فوائد حيث أدى إلى أن يعمد الأدباء منذ القدم إلى استخدام هذه الظاهرة في نصوصهم. وهو اصطلاحاً يُطلق على الإعادة المباشرة للعناصر. هناك عوامل تؤثر في استخدام التكرار في النصوص المختلفة منها: موضوع الكتابة، الخلفية الثقافية للمرسل والمتلقي، ومهارة الكتابة (شبل محمد، ٢٠٠٧، ص١٠٦).

أُهتم بالتكرار اهتماماً كبيراً منذ القدم في النصوص الأدبية وخاصة في كلام الله إلى أن عدّ من خصائص التعبير القرآني (المطعني، ١٩٩٢، ص٣٢١). أشار البلاغيون إلى أن التكرار يأتي لأغراض عدة منها: التعظيم، والتهويل، والتهديد، والتعجب، والتنبيه. لكن النصيين لا ينظرون إليه من حيث أغراضه بل ينظرون إليه كآلية لتماسك النص واستمراريته (بنت إبراهيم، ٢٠١٢، ص٢١).

إن *نهج البلاغة* أهم النصوص الواردة في تاريخ الأدب العربي بعد القرآن الكريم. فهم نهج البلاغة وتعلم جمالياته الأدبية وتوظيفها في تعليم النصوص توجب ضرورة تحليل خطَبها. من الآليات التي تكشف الستار عن الجماليات الكامنة في الطاقات التعبيرية لنهج البلاغة علم لغة النص الذي قلما استخدمه الباحثون في إيران لتحليل نص أدبي تحليلاً متعمقاً، رغم أن له فاعلية لا تنكر في التحليل الأدبي.

ويعد التكرار بوصفه أحد أركان علم النص أداة لتحقيق ضرورة بحثنا وهي تحليل جماليات نهج البلاغة وفهمها وتعليمها، إضافة إلى أنّ التعرّف على أصول المناهج الحديثة أمر ضروريّ ومهم.

فتهدف هذه الدراسة الكشف عن تأثير التكرار في إيجاد تماسك النص تماسكاً دلالياً وكشف جمالياته مطبقة إياه في الخطبة القاصعة من *نهج البلاغة* بمنهج وصفي- تحليلي.

وأما بالنسبة لخلفية البحث فقد ألف بعض الباحثين كتباً تبيّن نظرية النص أو جوانب منها مع التطبيق في بعض النصوص وذلك مثل كتاب *شبل محمد* (٢٠٠٧)؛ قدّمت المؤلفة لكلّ فصل مقدمة نظرية وأعقب كل مقدمة، تطبيق يعالجها في مقامات الأديب الأندلسي أي السرقسطي؛ درست الباحثة لغة المقامات وفقاً لنظام علم النص دراسة أثبتت كفاءة هذا العلم المستقبلية لتقديم منهج دقيق لدراسة الأدب. وهناك بعض المحاولات درست علم النص

دراسة تاريخية مثلما فعل خمري في كتابه (٢٠٠٧)، فهو تحدث عن أصول النص وارتباط اللغة بالنص وهكذا تحدث عن المحاولات التأسيسية التنظيرية للنص.

يعتمد كتاب *الفقي* (٢٠٠٠) على بيان الأسس الرئيسة لعلم النص ـ ومنها التكرار ـ موضّحاً كل معايير النص بأمثلة قرآنية.

ومن النشاطات الأخرى في الأدب العربى كتاب *فضل* (١٩٩٢) الذي يؤكد على أن تعاريف علم النص تتعدد. إنه تحدث عن نظرية اللغة وارتباطها بعلم النص وعلم الجمال والشعرية. ثم تحدث عن بلاغة الخطاب والأشكال البلاغية وعلم النص في فصول متميزة، وفي مجال التحليل والتطبيق اختار النصوص السردية من بين أنواع النصوص.

ومن المقالات التي تناولت موضوع التكرار يمكن الإشارة إلى مقالة *رمضان النجار* (دون تا) التي عالجت كيفية بروز التكرار وأنواعه وصوره المختلفة مقدمة لكل منها أمثلة من الخطابة النبوية.

كذلك يمكن الإشارة إلى دراسة *بنت إبراهيم* (٢٠١٢)، و*عبدالله مفتاح* (٢٠١٠) اللذين خصصاً التكرار وأنواعه وشروطه بالذكر والتدقيق. ودراسة قياسوند وطاهري نيا (١٣٨٨) في قصة النبي موسى عليه السلام.

تتطرق هذه المقالة إلى إحدى أدوات تماسك النص وهو التكرار وفقا لنظرية هاليداي وحسن؛ فلذلك يأتي أولا تعريف التكرار ومكانته عند القدماء والمحدثين، تحديد مفهومه في نظرية هاليداي وحسن ودوره في إيجاد تماسك النص، ثم يطبق ذلك على خطبة من خُطب نهج البلاغة ألا إنها الخطبة القاصعة مع تبيين كيفية تأثير التكرار في تماسكها وجماليتها على أساس ما جاء في الأسس النظرية بمنهج وصفي- تحليلي. تحاول المقالة الإجابة عن السؤالين التاليين:

**أسئلة البحث**

١. ما مفهوم التكرار في علم لغة النص وما هي أنواعه؟

٢. كيف يساعد التكرار في الكشف عن تماسك نهج البلاغة وجمالياته وفقا لنظرية هاليداي وحسن؟

**التكرار لغة واصطلاحاً**

جاء في لسان العرب:

«الكرّ: الرجوع ومنه التكرار... وكرّر الشيء وكركره: أعاده مرةً بعد أخرى...» (ابن منظور، ١٩٥٦، مادة كرر).

وورد في القاموس المحيط:

«كرّ عليه كرّاً وكروراً وتكراراً عطف عنه ورجع... وكرّره تكريراً وتكراراً وتكرّةً كتحلّة وكركره أعاده مرةً بعد أخرى» (الفيروزآبادي، دون تا، مادة كرر).

وعرفه السيوطي بأنه هو التجديد للفظ الأول ويفيد ضرباً من التأكيد؛ يتميز التكرار من الإعادة، إذ الإعادة لا تزيد على اثنين أو ثلاث مرات بخلاف التكرار (الزبيدي، ١٩٧٤، مادة كرر).

التكرار اصطلاحاً يُطلق على الإعادة المباشرة للعناصر (أبو غزالة، ١٩٩٢، ص٨١) وأيضاً «تشاكل لغوي يلفت الانتباه ومظهر من مظاهر التماسك المعجمي. حيث يقوم ببناء شبكة من العلاقات داخل المنجز النصي ويحقق ترابط النص. إذ إن العناصر المكررة تحافظ على بنية النص وتغذّي الجانب الدلالي والتداولي فيه وذلك من خلال تكاثر المفردات وكثافتها، مما يحقق سبك النص وتماسكه وإعادة تأكيد كينونته واستمراريته واطّراده» (بنت ابراهيم، ٢٠١٢، ص٢٠).

وعند هاليداي وحسن التكرار «إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو اسم عام أو كلمة شاملة» (Halliday, 1984, p288). يشيع التكرار في الكلام التلقائي ويرجع شيوعه إلى قصر زمن التخطيط (أبو غزاله، ١٩٩٢، ص٨١).

**فوائد التكرار**

لا يخفى أن للتكرار فوائد حيث أدى إلى أن يعمد الأدباء منذ القدم إلى استخدام هذه الظاهرة في نصوصهم.

١. يربط بين المحتوى القَضَوي للجمل في أجزاء النص المتباعدة.

٢. يساعد في «تحديد القضية الأساسية والكبرى في النص بالتأكيد على محتوى معين أو تكرار الكلمات المفاتيح» (شبل محمد، ٢٠٠٧، ص١٠٥).

٣. يقيم توازنا بين المعلومات الجديدة والقديمة في النص وبذلك يسهل فهم النص للقارئ (شبل محمد، ٢٠٠٧، ص١٠٥).

٤. يشدّ النص ويسبكه من خلال الاستمرار والاطراد، حيث يربط الوحدات النصية الكبرى بالوحدات الصغرى فيخلق أساساً مشتركاً بينها ويحكم العلاقات بين أجزاء النص.

٥. التكرار يؤدي إلى كثافة الألفاظ المكررة داخل النص وبالنتيجة يدعم ثبات النص؛ إن اللفظتين المكررتين لا تحملان دلالة واحدة؛ لأن اللفظة المكررة تكسب بما فيها وبما بعدها معنى آخر وهذا هو المسوغ لوجودها مرة أخرى ولها كثافة أعلى من اللفظة الأولى وذلك يسهم في نسيج النص وفك شفراته الدلالية من خلال هذا التتابع الدلالي فيدعم ثبات النص كله.

٦. التكرار يمنح خالق النص القدرة على خلق صور لغوية جديدة؛ لأن أحد العنصرين المكررين قد يسهم في فهم الآخر ويخدم الجانب الدلالي والتداولي فيه؛ الأمر الذي يفرض تآزرا ما بين الجانب المعجمي للنص وسياقه الخاص (بنت إبراهيم، ٢٠١٢، صص٢٤-٢٥).

لا تنحصر وظيفة التكرار على ما تقدم، بل يساعد المرسل في إقناع المتلقي والتأثير فيه واستمالته (بنت إبراهيم، ٢٠١٢، ص٢٥). وإضافة على تأدية وظائف دلالية معينة، التكرار يؤدي إلى تحقيق تماسك النص عن طريق امتداد عنصرٍ ما من بداية النص حتى آخره (الفقي، ٢٠٠٠، ج٢، ص٢٢).

هناك عوامل تؤثر في استخدام التكرار في النصوص المختلفة منها: موضوع الكتابة، الخلفية الثقافية للمرسل والمتلقي، ومهارة الكتابة (شبل محمد، ٢٠٠٧، ص١٠٦).

شرط علماء النص واللغويون للتكرار أن يرد المكرر في النص بنسبة عالية (بنت إبراهيم، ٢٠١٢، ص٢٢). وأن يساعد رصده على فك شفرة النص وإدراك دوره الدلالي فيه، ووقوع التكرار عند أكثر من كاتب أو في نص واحد (الفقي، ٢٠٠٠، ج٢، ص٢٢).

تجدر الإشارة إلى أن الإسراف في التكرار وسياق غير محتاج إليه يسبب ضعف الإعلامية في النص (النجار، دون تا، ص٣٤١). فعندما القضية واضحة عند المرسل والمتلقي أو هو أمر ليس في مرتبة عالية من الأهمية أو ليست المفاهيم كثيفة متراكمة فليست هناك حاجة إلى التكرار؛ لكن تستعمل هذه الظاهرة غالباً لتقرير وجهة نظر معينة وتوكيدها مثل الآية: ﴿**كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ (التكاثر: ٣-٤) (أبو غزالة، ١٩٩٢، ص٨٢).

أُهتم بالتكرار اهتماما كبيرا منذ القدم في النصوص الأدبية وخاصة في كلام الله إلى أن عدّ من خصائص التعبير القرآني (المطعني، ١٩٩٢، ص٣٢١). أشار البلاغيون إلى أن التكرار يأتي لأغراض عدة منها: التعظيم، والتهويل، والتهديد، والتعجب، والتنبيه. لكن النصيين لا ينظرون إلى التكرار من حيث أغراضه بل ينظرون إليه كآلية لتماسك النص

واستمراريته (بنت إبراهيم، ٢٠١٢، ص٢١).

يقسم بعض الباحثين التكرار إلى قسمين: ١. التكرار اللفظي باعتبار إعادة اللفظ ويسمى المشاكلة و ٢. التكرار المعنوي باعتبار إعادة المعنى ويسمى المناسبة (محمد مفتاح، ٢٠١٠، نقلاً عن السجلماسي: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق علال الغازي، ج١، ص٤٩).

## أنواع التكرار على نظرية هاليداي وحسن

تكرار نفس الكلمة[1]

وهو على ثلاثة أقسام:

أ) التكرار المباشر[2] وذلك تكرار العنصر المعجمي دون تغيير (شبل محمد، ٢٠٠٧، ص١٠٦) مثل: ﴿الْقَارِعَةُ ۞ مَا الْقَارِعَةُ﴾ (القارعة: ١-٢).

ب) التكرار الجزئي[3] وهو تكرار جذر صرفي في مشتقاته المتعددة (شبل محمد، ٢٠٠٧، ص١٠٦) مثل: تعصَّب، متعصب.

ج) الاشتراك اللفظي[4] هو ما يعرف بالتكرار المعنوي (محمد مفتاح، ٢٠١٠)؛ لأن اللفظة تتكرّر والمعنى يختلف وذلك نحو: العين (عضو في الوجه) والعين (بمعنى الجاسوس).

الإحالة التكرارية أو التكرار الإحالي:

يذهب علماء اللغة إلى أنّ الإحالة التكرارية من أوثق أنواع التكرار. يقول *درسلر*: «إن هذا النوع من إعادة اللفظ يعطي منتج النص القدرة على خلق صور لغوية جديدة؛ لأن أحد العنصرين المكررين قد يسهل فهم الآخر» (النجار، دون تا، ص٣٥٥؛ نقلاً عن درسلر، النص والخطاب والإجراء، ص٣٠٦) وذلك مثل: خذ كتابك. اجعل كتابك في حقيبتك.

---

1. The same word
2. The direct repetition
3. Partial repetition
4. Homonym

الكلمة العامة[1]

وهي «مجموعة صغيرة من الكلمات لها إحالة عامة وتستخدم كوسائل للربط بين الكلمات في النص». «هذه الكلمات محدودة في العدد وتلعب دوراً في الإحالة باعتبارها نوعاً من الترادف؛ فهذه الأسماء لها معنى عام جداً، لذا يمكن تفسيرها فقط من خلال الإحالة إلى عنصر آخر ومن هنا فهي تلعب دوراً دالاً في جعل النص يترابط بعضه مع بعض» (شبل محمد، ٢٠٠٧، صص١٠٨-١٠٩).

قسم هاليداي ورقية حسن الكلمات العامة هكذا:

١. الاسم الدال على الإنسان مثل: الناس، الشخص، الرجل، المرأة، الطفل، الابن، البنت.
٢. الاسم الدال على حقيقة مثل: سؤال، فكرة، شيء، أمر، موضوع.
٣. الاسم الدال على مكان مثل: مكان، موضع، ناحية، اتجاه (شبل محمد، ٢٠٠٧، صص١٠٨-١٠٩).

الكلمة الشاملة[2]

من أنواع التكرار هو أن يستخدم المرسل كلمات تندرج تحتها كلمات أخرى (النجار، دون تا، ص٣٣٨).

الكلمة الأعم تسمى الشاملة والكلمات الأخص تسمى المشمولة أو المنضوية[3]. وذلك مثل هذه الفئة من الكلمات: الحيوان وتندرج تحته: البرمائيات، الثدييات، الزواحف (شبل محمد، ٢٠٠٧، ص١٠٨).

## صور التكرار في الخطبة القاصعة

تعددت تصانيف التكرار عند علماء النص. وقد حظي كلام الإمام بشتى أنواع التكرار، منها:

تكرار نفس الكلمة

ومنها:

---

1. General word
2. Super ordinate
3. Hyponym

التكرار المباشر

أول لفظة حظيت بكمية عالية في نص الخطبة هي لفظ الجلالة؛ فقد جاءت هذه اللفظة أربعين مرة في كل الخطبة. فرسمت خيطا من أول النص إلى آخره ويخبرنا بمدار فكر صاحب النص فهو الإمام علي بن أبى طالب عليه السلام ونعلم ما نعلم من علاقته بالله ومكانته عنده تعالى. فيكرر اسمه في خطبته أكثر من أربعين مرة حيث لم تحظ أية لفظة أخرى في الخطبة بهذه الكمية من العناية.

بعد لفظ الجلالة هناك ألفاظ أخرى تكرّرت دون تغيير:

- الكبر (ثمانى مرات)
- إبليس (سبع مرات)
- العصبية، الحمية، الجاهلية، الشيطان، المستكبرين، القلوب (كل منها خمس مرات).

بناء النص على عناقيد من الكلمات المكررة يوضح القضية الكبرى في النص؛ تلك الكلمات هي المفاتيح التي تربط المحتوى القضوي وتسهم في الربط بين القضايا. باستعانة هذه الكلمات المفاتيح يمكن استخراج القضية الكبرى في الخطبة القاصعة وتلخيصه هكذا: اجتناب صفات سلبية مهمة كالعصبية، والحمية، والكبر، من القلوب فهي صفات الشيطان، والمستكبرون هم أتباع الشيطان.

تكرار هذه الألفاظ توحي تأكيد الإمام على هذه المفاهيم ويفهم المتلقي أنها هي القضية الكبرى في النص ولاسيما أن هذه الألفاظ ليست متباعدة بعضها من البعض من حيث المفهوم: العصبية، الحمية، الكبر، الشيطان، إبليس.

علاوة على اللفظة الجلالة نجد كمية ملحوظة من ألفاظ (الشيطان- البشر- الملائكة- العباد) في الفقرتين الأوليين. فربطت بين الفقرتين وميزتهما من سائر الفقرات فزادتهما تماسكا.

التكرار الجزئي

هذا النوع، واحد من أكثر أنواع التكرار حضوراً في الخطبة القاصعة؛ فهناك:

- (ع،ص،ب): تعصّبَ، متعصِّبين، يتَعصّب، تتعصّبون، تعصّبوا، التعصُّب
- (خ،ب،ر): اختبر، اختبار، يختبر
- (ك،ب،ر): استكبار، كبرياء، مستكبرين، تكبُّر، المتكبّر، كبَراء، تكابر، مكابرة، يستكبرون

- (ب،ل،و): يبتلي، ابتلاء، بلوى، بلاء

حضور هذه الكلمات في صيغها المختلفة وهي منتشرة في أرجاء النص يربط الوحدات والفقر فيه وبالتالي يؤدي إلى تماسكه.

الاشتراك اللفظي

- وليست خطبة الإمام غير محظية بهذا النوع من التكرار. فلننتبه إلى استخدام لفظة « الخلق» في هاتين الجملتين من الفقرة الأولى:
- الحمدلله الذي لبس العزّ والكبرياء واختارهما لنفسه دون خلقه.

﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۞ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ اعترضته الحمية فافتخر على آدم بخَلقِه.

الخلق في الجملة الأولى بمعنى الكائنات والورى وفي الجملة الثانية بمعنى الخِلقة.

هذا النوع من التكرار يكون من أسباب تماسك النص ويضفي عليه روعة وبهاء.

الإحالة التكرارية أو التكرار الإحالي

لقد تكرر ضمير «كم» في الفقرة الرابعة ثلاثين مرة!! ولا ندري لعل الإمام أراد أن يعيد المخاطبين على وعيهم بهذا التكرار ويبرز كونهم في الحياة الدنيا في ساحة معركةٍ هم واحد من طرفي المعركة والشيطان هو الطرف الآخر. هذا بغَضّ النظر من نصيب ضمير (ه) البارز و(هو) المستتر الراجعين إلى الشيطان في الفقرة نفسها مما سبّب بدوره تماسك الفقرة وشدّ رباط مضمونها.

الكلمة العامة

وقد جاء في الخطبة القاصعة الألفاظ العامة على هذا الترتيب:

١. الأسماء الدالة على الإنسان: الذين (مرتين)- الأمة (٤مرات)- الناس (مرتين)- الولد (٣مرات)- الأخ- إخوان- الرجال (مرتين)- أحدا (مرتين) - بنات- الأم- آباء- القوم (٣مرات)- عباد (٣مرات)- البشر- الخلق (٣مرات).

هذه الألفاظ العامة مع تنوعها كما سبق تعتبر نوعا من الترادف؛ إذ يمكن إحالة أسماء أخرى إليها ويمسك ألفاظ النص بعضها ببعض.

٢. الاسم الدال على المكان: كلمة «المكان» فقط.

٣. الاسم الدال على حقيقة: الأمر- الكلمة الوحيدة التي تدل على حقيقة لكنها جاءت ثلاث عشر مرة في أرجاء النص. يمكن إرجاع مفاهيم كثيرة كان الإمام يتوخاها إلى هذه الكلمة فأدى إلى تماسك الخطبة.

٤. الاسم الدال على الزمان: برزت في كلمات: يوم- أيام- ساعة- سنين.[١]

٥. الملك أو الملائكة: اسم عام لصنف من المخلوقات له أفراده.

٦. الشيطان: اسم عام يدل على صنف من المخلوقات له أفراده ومصاديقه ومنهم: إبليس.

٧. الأنبياء: اسم عام للمرسلين وله أفراده وذكر منهم: موسى، هارون، إسماعيل، إسحاق و...

٨. الأحجار الكريمة: ولها أنواعها مثل: الزمرد، الياقوت.

الكلمة الشاملة

فيما يلي أمثلة هذا النوع من التكرار في خطبة الإمام عليه السلام:

- وأن يحشر معهم طيور السماء ووحوش الأرضين (الحيوانات تشتمل على أصناف وأنواع لا تحصى منها: الطيور والوحوش).
- فاعتبروا بحال وُلد إسماعيل وبني إسحاق وبني إسرائيل فما أشد اعتدال الأحوال وأقرب اشتباه الأمثال تأمّلوا أمرهم في حال تشتّتهم وتفرّقهم (هؤلاء كلهم من فئات المؤمنين الماضين الذين يجب الاعتبار بأحوالهم).
- إن لجأتم إلى غيره حاربكم أهل الكفر ثم لا جبرائيل ولا ميكائيل ولا مهاجرون ولا أنصار ينصرونكم (انقسم المسلمون في زمن الرسول إلى فئتين: المهاجرين والأنصار).
- ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي والنكث والفساد في الأرض فأما الناكثون فقد قاتلتُ والقاسطون فقد جاحدتُ وأما المارقة فقد دوّخت (كان أهل البغي في زمن أمير المؤمنين عليه السلام ثلاثة فِرَق: الناكثون، والقاسطون، والمارقة).

---

١. من الرقم الرابع فصاعداً ليس في تصنيف هاليداي وحسن لكنها وردت للتناسب مع النص المحلّل.

**النتيجة**

- حظيت لفظة الجلالة بأكثر عناية في الخطبة القاصعة للإمام علي عليه السلام حيث تكررت أربعين مرّة في الخطبة كلها؛ فالله هو الوجود المطلق في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام والكون كله لله جلّ جلاله، والإنسان العارف الذي يعرف الرّب حق معرفته لا يرى شيئاً من الكون إلا ويتذكر من ذلك الشيء مالكه.
- هناك مجموعات – وهي من أنواع التكرار– ساهمت في إحكام نسيج الخطبة؛ ثمانية فِرَق من الكلمة العامة وأربعة من الكلمات الشاملة.
- الكلمات الأكثر تكراراً في الكلمات العامة هي ما يرتبط بالإنسان وبعد ذلك ما يرتبط بالزمان والاسم الدال على حقيقة. الإنسان، الفُرَص والزمن، ونهاية أمره... كلها يجعل الإمام يفكر فيها ويحدّث بها أبناء أمّته.
- التكرار بما هو المقصود في نحو النص يحظي بعناية كبيرة في الخطبة القاصعة؛ وذلك بسبب خاصية التكرار للتوازن بين المعلومات الجديدة والقديمة في النص وبالتالي تسهيل فهم القضية للمتلقّي.
- كل هذه الملاحظات تدلّ على قدرة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام في الكلام ومعرفته بأسرار اللغة في العصور الإسلامية الأولى حيث لم تكن صنعة ولا تصنيع ولا فن زخرفة النثر.

## المصادر والمراجع


١. ابن منظور، محمد بن مكرم (١٩٥٦). *لسان العرب*.ج ٥. بيروت: دار صادر؛ دار بيروت.

٢. أبو غزالة، إلهام (١٩٩٢). *مدخل إلى علم النص؛* شرح لنظرية روبرت دي بوجراند وولفجانج دريسلر. [دون مك]: مطبعة دار الكتاب.

٣. بنت إبراهيم، نوال (٢٠١٢). *أثر التكرار في التماسك النصي؛ مقاربة معجمية في ضوء مقالات خالد المنيف*. مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد الثامن، صص١١-٨٢.

٤. الزبيدي، مرتضى (١٩٧٤). *تاج العروس من جواهر القاموس*. تحقيق عبد العظيم الطحاوي، ج ١٤، [دون مك]: دار الهداية.

٥. شبل محمد، عزة (٢٠٠٧). *علم لغة النص: النظرية والتطبيق*. تقديم سليمان العطار، القاهرة: مكتبة الآداب.

٦. فضل، صلاح (١٩٩٢). *بلاغة الخطاب وعلم النص*. الكويت: سلسلة عالم المعرفة.

٧. الفقي، صبحي إبراهيم (٢٠٠٠). *علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق*. ج ١ و٢. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

٨. الفيروزآبادي، مجد الدين (دون تا). *القاموس المحيط*. ج ٢، [دون مك]: مؤسسة فن الطباعة.

٩. المطعني، عبد العظيم إبراهيم (١٩٩٢). *خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية*. ج١، القاهرة: مكتبة وهبة.

١٠. محمد مفتاح، إبراهيم (٢٠١٠). *التكرار ودوره في التماسك النصي*.

١١. المأخوذ في ٢٠ سبتمبر ٢٠١٣ http://www.ta5atub.com/t559-topic

١٢. النجار، نادية رمضان (دون تا). *علم لغة النص بين النظرية والتطبيق الخطابة النبوية نموذجا*.

13. Halliday, M.A.K; And Hasan, R. (1976). *Cohesion in English.* Sixth impression (1984). London and New York: Longman.

مجلة اللغة العربية وآدابها
السنة ١١، العدد ١، ربيع ١٤٣٦ هـ
صفحة ١٣٧- ١٥٨

# دراسة الأفكار والعاطفة في قصيدة «لوم وعتاب» لأبي فراس الحمداني (تحت ضوء النقد النفسي)

**زينه عرفت پور[١]*، ليلا جديدي[٢]**

١. أستاذة مساعدة، قسم اللغة العربية وآدابها بأكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية

٢. طالبة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها بأكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٥/٤/٦ ؛ تاريخ القبول: ٢٠١٥/٥/٣)

## خلاصة القول

إنّ الحبس حادثة قد واجهها كثير من الشعراء الأقدمين منهم أبوفراس الحمداني. وهو اشتهر بحبسياته التي كان أكثرها موجّهاً إلى سيف الدولة لمعاتبته. وهذه المقالة تقوم بدراسة قصيدة لوم وعتاب وتحليل الأفكار والعواطف فيها، وتبيّن ملامح شخصية الشاعر، وحالاته النفسية، ومدى تأثره بالسجن، وكلّها تُحَلَّل على ضوء النقد النفسي؛ فيُستنتج مما جاء فيها أنّه كان شاعراً رومنسياً بعيداً عن التملّق ومتأثراً بالآلام والأحلام معبّراً عن الجدل النفسي؛ حيث أثّر السجن في نفسية الشاعر وجعله بين الأحاسيس المتناقضة مثل التشاؤم والتفاؤل، وانتابت الشاعر حالات نفسية مختلفة كالإنتماء والشعور بالعجز، والعودة إلى الماضي، والفردانية، والتجاسر وازدواجية الفكر. كما استنتجنا بأنّ مصدر الأفكار في قصيدة لوم وعتاب هو الغموم والأحزان التي سيطرت على أبي فراس في الأسر وهذه كلّها أدّت إلى الأحاسيس المتناقضة منها الضعف والقوّة والتشاؤم والتفاؤل. كما يبيّن هذا البحث أنّ غرض الشاعر من العتاب هو استقطاب إلتفات سيف الدولة وترغيبه على الإفتداء بطرق مختلفة منها: استهلال القصيدة بمقدمة غزلية رائعة ومتناسبة مع الغرض، الحوار، نصح الملك وتكريمه، والإشارة إلى خدماته في حفظ كيان حكومة الملك، وخلق المشاهد الحزينة والمؤلمة التي تصوّر مدى قسوة الأيام والأصدقاء.

## الكلمات الرئيسة

دراسة الأفكار، دراسة العاطفة، النقد النفسي، أبو فراس الحمداني، قصيدة لوم وعتاب.

---

* الكاتبة المسؤولة Email: z.erfatpor@gmail.com

**مقدمة**

النقد النفسي يعتبر من الأساليب الهامة التي يستخدمها النقّاد لمناقشة أثر فنيّ ما، لاسيما في السنوات الأخيرة اهتمّ الباحثون في تطبيق هذا النوع من النقد على مجالات مختلفة منها الشعر. والشعر مرآة لأفكار الشاعر وأحاسيسه، وبه تُعرف ملامحُ شخصيته؛ لأنّه يحاول من خلال أشعاره أن يُعبّر عمّا في ضميره. ومن بين الشعراء الأقدمين، يلاحظ أنّ أبي فراس الحمداني يظهر حالاته النفسيه في شعره.

وهو أحد الشعراء والفارسين في التاريخ والأدب العربي، وله دور أساسي في إنشاء تاريخ الحمدان بشجاعته وأدبه طوال حياته، إن كان حرّاً وإن كان أسيراً فهو في جميع الأحوالات كان منبعاً غنياً للشعر والنفس الإنسانية والأفكار العميقة والشعور الصادق، وهو ذو شأن رفيع في التاريخ بسبب إنتسابه إلى الملوك، وفي الأدب بسبب كثرة أشعاره وعدم التكسب بها (مروّة، ١٩٩٠، ص٣).

لأبي فراس قصائد أنشدها في السجن وقد اشتهرت بالروميات وتعتبر قصيدة لوم وعتاب واحدةٌ منها. والأفكار الإنسانية والسليمة في هذه القصيدة وعذوبة عاطفتها دفعتنا إلى دراستها.

وفي هذا المقال استخرجنا الأفكار الأصلية والفرعية للقصيدة ومصدرها وطريقة عرضها على ترتيب الأبيات وعالجنا الأحاسيس الملتهبة عند الشاعر، وكيفية التيامها حتّى نتمكن من دراسة أفكاره وأحاسيسه على ضوء المنهج النفسي؛ حيث تبرز لنا شخصية الشاعر وكيفية تحمل ظروف السجن السيئة وغايته من العتاب. وبهذا الطريق نصل إلى مقدرته في تنسيق الأفكار وإظهار ما في ضميره، ومن خلال ذلك نفهم مدى صبره أمام المصائب.

والجدير بالذكر أنّ «بعض النقاد المصريين لم يقفوا من المنهج النفسي موقفاً واحداً وإنّما كانت بينهم فروق في التطبيق فمنهم من استعان بالمعارف النفسية العامة، ومنهم من استلهم نظريات فرويد وطبّق منهجه، ومنهم من استعان بنظريات يونج، ومنهم من وقف موقفاً وسطاً في الأخذ من علم النفس» (قطوس، ٢٠٠٤، ص١٠٢).

وكان طه حسين، وابراهيم المازني، وعباس محمود العقاد، ومحمد النويهي، وشوقي ضيف من الذين يستمدون في نقدهم بالمعارف النفسية. «وكان إتجاهم نحو الإستضاءة بروح العلم،

والإستفادة من كل ما يتّصل بالمعارف العلمية، ومن ضمنها علم النفس؛ أحد الروافد المهمة للنقاد الذين قاموا بدراسات نقدية نفسية وقد كان همّ هؤلاء النقاد أن يوسعوا مجال نقدهم، ويعمّقوه، بالإلتفات إلى معارف العصر، وعلى هَدي منها» (قطوس، ٢٠٠٤، ص١٠٣). وهكذا يمكن للناقد أن يسبر أعماق العمل الأدبي ويستشف منها نفس الأديب وما يتركه من أثر في نفس المتلقي، وهذه المحاولة تكمّل عملية النقد؛ إذ أن الناقد يتناول الفن، وأساس الفن هو الحياة، وأساس الحياة نفس الفنان التي يملأها عاطفة ويثيرها خيالاً (الطاهر، ١٩٧٩، ص٤٢٣).

ولكن حسب رأي مجموعة من النقاد ومنهم محمد مندور يجب على الناقد عند استخدام علم النفس في دراسة الأثر الأدبي أن يتوخى الحذر من توظيف المصطلحات المعقدة والقوانين الجافة؛ لأن فهم أعماق النفس البشرية شئ، وإقحام مصطلحات علم النفس على العمل الأدبي شيء آخر (مندور، دون تا، ص٤٠).

وقد بنينا نحن، الدراسة على منهج النقد النفسي بأسلوب وصفي تحليلي، واعتمدنا على المعارف النفسية العامة كما فعل بعض النقاد المصريين ولم نركز على آراء عالم نفساني خاص.

وعلى هذا الأساس نحن ندرس القصيدة المختارة من قصائد أبي فراس دراسة نفسية نستكشف من خلالها نفس الشاعر، ومدى تأثيره على نفوس الآخرين دون أن نثقل البحث باستخدام مصطلحات علم النفس المعقدة جداً؛ فنستفيد من علم النفس إستفادةً تخدمنا في فهم نفس الأديب ولا غير.

وأما بالنسبة لخلفية البحث فقد وجدنا كتباً قامت بتحليل بعض قصائد أبي فراس وتحديد الصفات للشاعر من خلال أشعاره منها: الموسوعة الأدبية الميسرة: أبوفراس الحمداني لخليل شرف الدين. عالج المؤلف في هذا الكتاب حياة الشاعر نظراً إلى موضوعات قصائد ديوانه وأساليبه في إنشاد القصيدة بصورة كلية ثم قام بتحليل عدّة قصائد نموذجاً. وأبوفراس الحمداني الشاعر الأمير لمحمّد رضا مروّة، وفي هذا الأثر درس الكاتب أيضاً السيرة الذاتية لأبي فراس وأساليب إنشاده القصائد. ولكن لم تعالج فيهما هذه القصيدة ولم يتمّ شرح الأفكار والعاطفة الواردة فيها.

وهناك رسالة عنوانها «تجربة السجن في شعر أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عباد» أعدّها عامر عبدالله، وقد عالج في هذه الرسالة مضامين مختلفة منها: الأسرة الحمدانية، والسيرة الذاتية لأبي فراس الحمداني والمعتمد بن عباد وشعر السجن عند أبي فراس

الحمداني وأبي المعتمد بن عباد، ودرس دراسة فنية شعر السجن والمعجم اللغوي عندهما وقام بالمقارنة بينهما. والحري بالذكر أنّ هذه الرسالة لم تعالج قصائد أبي فراس عبر الإتجاه النفسي ولم تستخرج الأفكار الرئيسة للقصائد ولم يكن فيها أيّ تحليلٍ لقصيدة لوم وعتاب.

وثمت مقالة أخرى تحت عنوان: «تصوير فخر در سرودهاي أبوفراس حمداني» درست صورة الفخر في أشعار أبي فراس وبيّنت أنواعه ودوافعه عند الشاعر ومراحله في ديوانه وموضوعاته. وفي طيّات المقالة توجد أبيات يستدّل بها الكاتب لتبيين الموضوع ولكن لم تكن أبيات قصيدة لوم وعتاب بينها.

وكما لاحظنا في هذه الدراسات نرى إشارة موجزة إلى مضامين أشعار أبي فراس وعاطفته بصورة عامة، لكننا لم نجد فيها دراسة مستقلة عن قصيدة خاصة، وإنّما أكثر الدراسات تتناول جميع القصائد. وأيضاً لا نرى فيها أي تحليل يستند على علم النفس. أمّا هذه المقالة فقد ركزّت على إحدى قصائده وتحاول أن تستخرج الأفكار المحورية من منظار النقد النفسي وتهدف أن تجيب على الأسئلة التالية:

١. ما هي الأفكار في قصيدة اللوم والعتاب وما هو مصدرها؟
٢. كيف برزت عاطفة الشاعر وشخصيته في القصيدة وما قيمتهما؟
٣. ما هي السمات النفسية التي نستشفها من خلال أفكار الشاعر وعواطفه؟

نظراً إلى القصيدة يمكن القول أنّ الشاعر كان متأثّراً بالغربة التي تحيط به في السجن، وعدم ثبوت محبة الأصدقاء عند الشدائد، ومصائب الأسر.كما نرى ان الأفكار المحورية كانت متناقضة مما تدلّ على الأحاسيس المتناقضة التي تنتاب الشاعر حيث تتراوح بين الضعف والقوّة، وبين التشاؤم والتفاؤل.. إذن هذا البحث يحاول في تحديد السمات النفسية للشاعر مستمداً من علم النفس؛ حيث «إنّ موضوع علم النفس هو دراسة النفس الإنسانية، ولذلك فإن بإستطاعتنا أن نستغل هذا العلم في دراسة الفن، لأنّ النفس هي منبع جميع الفنون» (قطوس، ٢٠٠٤، ص٢١).

## حياة الشاعر فيما يتصل بالنص

أبوفراس الحارث بن سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني ولد في الموصل سنة ٣٢٠ هـ (٩٣٢م) نشأ تحت رعاية إبن عمه سيف الدولة وكان سيف الدولة معجباً بمحاسنه حتّى أنّه جعله والياً على منبج وحرّان (فروخ، ٢٠٠٦، ج٢، ص٤٩٥).

«في سنة ٣٣٧ دخل المتنبي بلاط سيف الدولة[١]، أراد سيف الدولة بذلك أن يكسف نور أبي فراس في الشعر والحرب. ثم وقع أبوفراس في أسر الروم الشوال من سنة ٣٥١ هـ وبقي فيه إلى رجب ٣٥٥ هـ (٩٦٢-٩٦٦م). ولم يرغب سيف الدولة في افتدائه إفتداء خاصاً يعظم من عظماء الروم بل تركه في الأسر حتّى فودي بطريقة العامة في مبادلة الأسرى[٢]» (فروخ، ٢٠٠٦، ج٢، ص٤٩٥).

ونرى في كتب تاريخ الأدب أنّ هناك آراء مختلفة حول شخصية أبي فراس وشاعريته؛ فيقول أبو منصور الثعالبي صاحب يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر:

«هو إبن عم سيف الدولة وإبن عم ناصر الدولّة كان فردَ دهره وشمس عصره أدباً وفضلاً وكرماً ونبلاً ومجداً وبلاغةً وبراعةً وفروسية وشجاعة وشعره مشهور سائر بَيِّنٌ الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة والمتانة ومعه رواء الطبع وسِمة الظرف وعزة الملك ولم تجمع هذه الخلال قلبه إلّا في شعر عبدالله بن المعتز، وأبوفراس يعدّ أشعر منه عند أهل الصنعة ونقدة الكلام» (الثعالبي، ١٩٥٦، ج١، ص٤٨).

ورغم أنّ الشاعر عاش في القرن الرابع والفترة التي كانت الحمدانيون منشغلين بالحرب والغزو والصراع مع الأعداء أطلق عليه عنوان الشاعر الرومنسي؛ فهو في أسلوبه وموضوعاته كان كلاسيكياً، وفي بعض مواقفه وميزاته النفسية ذا روح رومنسية، ومتوغلاً في حالة من الإنفراد وغير متعلق بشيء، ومحاولاً في تغيير الأصول الرائجة والميل إلى الأصول الحديثة ومعبّراً عن مآساة الحياة والألم واضطهاده كشعراء المدرسة الرومنسية الجديدة وهكذا اتضحت لنا رومنسيته في الشعر العربي القديم قبل أوانها (أنظر: شرف الدين، ٢٠٠٠، صص٦٣-٦٦).

وبصورة كلية تكون لدى أبي فراس الحمداني في جميع أحواله عاطفة خالصة صادقة إنسانية. فيقول البستاني: «كانت حياة أبي فراس حرباً وأسراً، فأجاد الفخر والحماسة وأبدع في رومياته، وغلبت على شعره العاطفة لأنّه لم يتكلفه تكلّفاً وإنّما جري به طبعه الصحيح، وهو في أشدّ حالات التأثر محارباً كان أو أسيراً وإستسلامه إلى العاطفة المطلقة

---

١. هو سيف الدولة أبو الحسن علي بن أبي الهيجاء عبدالله بن حمدان ولد في ١٧ من ذي الحجة من سنة ٣٠٣ هـ في مدينة الموصل وكان ملكاً أديباً ومحبّاً للأدباء والشعراء (أنظر: فروخ، ٢٠٠٦، ج٢، صص٤٨٣-٤٨٥).

٢. «وفي اليوم الأوّل من شهر رجب سنة ٣٥٥ هـ خرج أبوفراس بثلاثة آلاف أسير إلى خرشنة، ووصل إليها سيف الدولة بأسراه فدفع ستمائة ألف دينار رومية، وتمّ الفداء بعد أربع سنوات» (الدويهي، ١٩٩١، ص٩).

جعل في خياله ضيقاً فلم ينفسح له مجال التصوير والتزيين فقد كان يصف حالته في الأسر كما يحسها ويشعر بها لا كما تجسّمها وتوسّعها» (البستاني، ١٩٨٩، ج٢، صص٣٧٥-٣٧٦).

قصيدة «لوم وعتاب»

وقع أبوفراس في السجن مرتين[١]، وفي الفترة التي كان أبوفراس مسجوناً عند الروميين، أنشد قصائد كثيرةً مشهورةً بالرّوميات. وهي كانت معبّرة عن نفسه المعذبة القلقة، وفيها العواطف والأحاسيس الصادقة التي قلّما نجدها عند غيره من الشعراء، وهو يسجّل في الروميات قسوة الأسر ويرسم حوادث مؤلمة تحدث له، ويروي قلقه وإنتظاره للخلاص وميله الشديد إلى الحرية. «وهذه كلّها تجربة، صنعت أبا فراس وأمدته بكثير من الأدوات الصافية النقية» (مروة، ١٩٩٠، صص٨٩-٩٠).

ويبدو أنّ قصيدة «لوم وعتاب» أنشدت في المرة الثانية من الأسر. أمّا بالنسبة إلى سبب إنشاد القصيدة فيمكن القول «إنّ سيف الدولة يصرّ على الفداء بطريقة عادية فيتحدث الشاعر مع ملك الروم ويبدأ بمحاولته السياسية حتّى يوافق الفدية المتعلقة للأسراء المسلمين. فيرسل الشاعر رسالةً لسيف الدولة ويخبره عن هذه الفدية لكن لم يصل إليه خبرٌ من جانب ابن عمّه حتّى يرسل إليه الشاعر رسالةً ويشكو من غفلته وتأخّره. يغضب الملك على هذا الشكوى ويرسل إلى أبي فراس رسالةً لإزدرائه ويمتنع عن إفتدائه. في هذه الحالة يتغلّب اليأس على الشاعر وينشد هذه القصيدة وقلبه فيها طافح بالمحنة» (الزغول، ١٣٨٢، ص١٠٠).

ومن هنا يتبيّن لنا موضوع القصيدة وهو المعاتبة، فهي موجهة إلى سيف الدولة بسبب عدم إنتباهه إليه. والعتاب يلقي غالباً في أذهاننا معنى سلبياً وبعض الأحيان يرافقه تحقير الملوم ومؤاخذته، فقيل: اللوم كلمة عربية بمعنى عتاب وله مشتقات، منها: لائم، ملوم، مليم، لوم وكل واحد منها له معنى خاص، وكذلك له مترادفات في اللغة العربية، منها: «التعيير، التأنيب»، وفي اللغة الفارسية تأتي مفردات لما يقارب هذا المعنى منها: «سركوفت وسرزنش ونكوهش» (شريف رازي، ١٣٨٧، ص٨).

---

١. فأسره الأول بمغارة الكحل في سنة ٣٤٨ هـ المسمّى بخرشنة يقال: إنه قعد على ظهر فرسه وضرب جنبه برجله فسقط من أرفع الحصن إلى الفرات والله اعلم والمرة الثانية أسره الروم وبقي في الأسر أربع سنين وله في الأسر أشعار كثيرة (إبن خلّكان، ١٣٦٤، ج٢، ص٥٩).

وكثيراً ما نواجه هذا الموضوع في أشعار الشعراء المسجونين وهو «طلب الإبقاء على الودّ والمراعاة» وغالباً ما يوجّه إلى الأشخاص الذين لهم صلة مع الشاعر كالحكام والأمراء الذين سجنوه أو الأصدقاء الذين قد تركوه ويعتمد الشاعر في هذا المجال على تذكيرهم بالخدمات والصلات مع الأقرباء والحكام. وأبوفراس الذى يكون موضوع بحثنا، فهو أكثر عتاباً بالنسبة إلى الشعراء المسجونين (أنظر: آباد، ١٣٨٠، صص٣٣١-٣٣٤) منها:

تَنَــكرَ سَيــفُ الــدِّينِ لَمَّــا عَتَبتُــهُ وَعَــرَّضَ بِــي، تَحــتَ الكَــلَامِ وَقَرَّعَــا

ويقول أبوفراس «حينما عاتبت سيف الدولة غيّر معاملته لي فأخذ يسيء إلى» فمن هنا يتبيّن لنا أنّ غرض الشاعر الحقيقي من إنشاد القصيدة وهو إثارة ترحّم الملك وترغيبه في الافتداء.

وربّما يكون سبب عدم إفتداء سيف الدولة، هو المكانة الرفيعة الّتي كان يحظي بها الشاعر؛ لأنّه كان نجماً في الأدب والحرب؛ فطبيعي أن يحاط بالحاسدين والرقباء، ومن المحتمل أنّه كان يخاف من قدرته ومنزلته إذن قلّل من حبّه ومودّته بالنسبة إليه.[1]

وهذه القصيدة مكوّنة من خمسة وثلاثين بيتاً على البحر الطويل والّتي مطلعها هو:

أَبَــى غَــربُ هَــذَا الدَّمــعِ إلّــا تَــسَرُّعَا وَمَكنُــونُ هَــذَا الحُــبِّ إلَّــا تَضَــوُّعَا

وفي بعض الدواوين لم يكن لها عنوانٌ وعرفت بهذا المطلع، وتلعب العاطفة في هذه القصيدة دوراً جوهرياً. وللقصيدة مهمّة وهي التأثير في عواطفنا وكسب تعاطفنا مع موقف الشاعر. ومن خلالها يصل الشاعر إلى غايته من إنشاد الشعر وهي تبادل الأحاسيس بينه وبين القارئ.

و«قد جاء في كتاب سلسلة شعراء العرب تعريفٌ عن عاطفته حيث كتِبَ: شعر أبي فراس شعر يدلّ بوضوح على شخصية شاعرنا وهو أبي النفس، شجاع، كريم، وطني فالعاطفة، هي ما ينضح من شعره أكثر ما ينضح، وخصوصاً في الروميات هي القصائد التي نظمها في أثناء أسره، والتي تطالعنا فيها العاطفية الجياشة، الإحساس الصادق، التصوير الرقيق والحزن والألم وذلك ماخلد ذكره إلى الأبد» (المركز الثقافي اللبناني، دون تا، ص٧).

---

١. هناك أقوال متعددة حول عدم فداء سيف الدولة، قد ذكر صاحب كتاب «ادباء العرب في الأعصر العباسية» أنّ من أسباب غضب سيف الدولة وعدم فدائه إلتجاء أبي فراس إلى أهل خراسان وطلب المفاداة منهم (أنظر: البستاني، ١٩٨٩، ج٢، ص٣٧٢).

فعلى هذا القول نستنتج أنّ العاطفة جزء رئيسي في روميات الشاعر لا ينفك عنها بسبب ما أحاط الشاعر به من مشاكل الدهر، ونرى أنّ عاطفته إحساس إنساني عامّ؛ لأنّها صادرة عن حالات نفسية لم تختصّ بالشاعر فحسب بل تشمل كل قلب إنسان متألم عن حوادث الدهر.

والجدير بالذكر أنّ العاطفة قد غلبت على أبي فراس عندما كان مسجوناً، وهذه العاطفة التي لا تسمح له أن يعترف أنّ من تولّى تربيته يتنحّى عنه ويتأخّر في فدائه؛ إذ هو كان شاعره وفارسه الخالص، إذن نواجه مسألة شعورية نفسية من جانب أبي فراس، وحادثة مفجعة وموقفاً خطيراً من جانب سيف الدولة، على هذا الأساس روملياته معبّرة عن تجربة السجن، والبعد عن أهله؛ لذا فهي من أصفى الشعر العربي القديم (أنظر: شرف الدين، ٢٠٠٠، ج٤، صص٣٩-٤٠).

والمهم أنّنا نرى تناقضاً في الحالات النفسية للشاعر في هذه القصيدة فنلاحظ حينما يتحدّث عن حبّه وعن أسره وعن الإعراض وعدم الوفاء ولوم سيف الدولة، تكون عاطفته مؤلمة ومحرقة ومؤثرة في النفوس، وكأنّه فقد أمله وقطع مودّته عن سيف الدولة أمّا حينما يبدأ بنصيحة الملك وتعظيم شأنه، فيظهر صدق عاطفته بالنسبة إلى الملك وتخمد إضطراباته، وكأنّه يترك لوم الملك في النهاية ويسعى لإثارة ترحمه ولكن يحاول أن يبتعد عن الكذب والرئاء ودائماً يذكر الحقيقة دون إطالة الكلام وتوشيحه.

هذا وكان الشاعر في هذه القصيدة شاعراً عاطفياً، ومصدر هذه العاطفة هي الظروف التي عاش فيها منها الألم والقسوة والبكاء، ولكن رغم كل ذلك أنّه ذات نفسية قوية وأمير وفارس قاتل، ولكن العواطف والأحاسيس قد سيطرت عليه في مطلع القصيدة، وحينما يتحدّث عن حبه لسيف الدولة يحاول أن يعبّر عن مدى عذابه من الهجران، ثم يتكلم عن المشيب ويبيّن لنا حالةً من اليأس. هذا التباطؤ من جانب سيف الدولة قد أوقع في قلبه الخوف والحزن وقطع الأمل، ثمّ نرى بكل صدق يتذكر الأسباب التي أوقعته في هذه الورطة؛ منها البقاء في السجن سنتين، ثم الجفاء من جانب الأقرباء، ثم الغفلة والنسيان من جانب الملك وإستماعه للواشي، ولا يهمّه لو تجعل هذه الأقوال سيف الدولة مصرّاً على موقفه منه؟ لأنه ليس شاعراً متملقاً ولا متكسّباً، بل هو أمير متوغلٌ في الأحاسيس ولا يريد أن يحط من شأنه بأقوال كاذبة ومتصنعة، فالعاطفة الصافية تملأ القصيدة. وفي النهاية حينما ينصح سيف الدولة ويتكلّم عمّا فعله الملك في حقه، يكثر من إعلام صداقته ومحبته إليه وهذه علامة تدلّ على عذوبة العاطفة فيه.

وحسب الأفكار المطروحة في هذه القصيدة قسّمنا القصيدة إلى خمسة أقسام؛ ندرس الأفكار والعاطفة المطروحة فيها تحت ضوء النقد النفسي:

أ. دراسة نفسية للمقطع الأول من القصيدة

القسم الأول منها يشتمل على ستة أبيات يقول فيها الشاعر:

١. أَبَـى غَربُ هَذَا الدَّمـعِ إلّا تَـسَرُّعَا وَمَكنُـونُ هَـذَا الحُـبِّ إلَّـا تَـضَوُّعَا
٢. وَكنـتُ أرَى أنِّـي مَـعَ الحَـزمِ وَاجـدٌ إذَا شِئتُ لِي مَمضي وإن شِئتُ مَرجِعَا
٣. فَلَمّـَا استَمَـرَّ الحُـبُّ فِـي غُلَوَائِـهِ رَعَيتُ مَـعَ المِـضيَاعَةِ الحُبَّ مَا رَعَى
٤. فَحُـزنِيَ حُـزنُ الهـَائِمِينَ مُبَرِّحـاً وَسِـرِّيَ سِـرُّ العَـاشِقِينَ مُضَيَّعَـا
٥. خَلِيـلَيَّ، لِـم لَـا تَبكيَـانِي صَبَابَـةً أأبدَلتُـمَا بِـالأَجرَعِ الفـَرِدِ أجرَعَـا؟
٦. عَلَـيَّ، لِمَـن ضَنَّـت عَلَـيَّ جُفُونُـهُ غَـوَارِبُ دَمـعٍ، يَشـمَلُ الحـَيَّ أجمَعَـا!

(الدويهي، ١٩٩١، ص٢٠٨)

وعندما نمعن النظر في هذه الأبيات نرى أنّ الفكر الرئيسي هو وصف الحب والبكاء والإستبكاء. وفي الواقع هذه المقدّمة الغزلية تتكوّن من أفكار جزئية منها:

- انكشاف سرّ الشاعر أي سرّ العشق؛
- كثرة الإشتياق لصيانة الحب؛
- إظهار الحزن والضعف في طريق الحب؛
- البكاء والإستبكاء.

ولكن قبل أن نبدأ بتحليل الأفكار لابدّ أن نقول إنّ المقطع الأوّل يبدأ بمقدمةٍ غزليةٍ يصف الشاعر فيها بكائه ويطلب البكاء من الآخرين كالشعراء المتقدمين الجاهليين. فهنا أيضاً نشاهد الصلة التامة بين هذه المقدمة والمقاطع الأخرى للقصيدة التي سنذكرها فيما بعد. ومصدر الفكرة هي إنفعالاته النفسية الملتهبة المنبعثة من قلب الشاعر بسبب الحزن.

حسب ما جاء في المصادر أنّه لم ينشد المقدمة الغزلية في الرّوميات إلّا في أربعة قصائد، واحدة منها هي القصيدة المذكورة (أنظر: الزغول، ١٣٨٢، ص٩٨). وربّما هذه المقدمة وسيلة لإبراز مودّته إلى الملك وتعبيرٌ عن حالاته المؤلمة بسبب فراقه وغفلته عن الشاعر. فهو لا يستطيع أن يتحمّل لهيب النار في قلبه، إذن يكفّ عنه الثبات والمقاومة وهذا ما يؤدّي إلى البكاء والجزع وإظهار الحسرة. وهو يعبّر عن عاطفته المشتعلة كالشعراء الرومنسيين؛ ويعتقد

شرف الدين أنّه شاعر رومنسي؛ رغم أنّ قوالبه الشعرية وموضوعاته تكون مثل الشعر العربي الكلاسيكي المعروف؛ فهو يكون ذا ملامح رومنسية يعيش حالة من الوحدة، والانتماء، والرغبة في تغيير المعايير السائدة في المجتمع (شرف الدين، ٢٠٠٠، ص٦٢-٦٣).

أمّا الألفاظ فهي توافق أحاسيس الشاعر حيث تُصوّر أحزانه وآلامه الناتجة عن جفاء سيف الدولة، وتترك تأثيراً بالغاً على نفس القارئ، منها غرب الدموع، حزن الهائمين، سر العاشقين، ضنّ الجفون عليه و... . لأنّ الشاعر يحاول في إثارة ترحّم إبن عمه وهذا المقطع يحقق ما أراده قائله. على كلّ حالٍ غزله رائعٌ وبعيدٌ عن التّصنع والتكلّف، ولغته بسيطة لاتجهد القارئ في سبيل فهمها، إذن تأثيره في النفوس أكثر وأقوى من القصائد التي تتكاثر فيها المفردات الصعبة وهذه ميزة تشمل جميع قصائده الغزلية.

والجدير بالذكر أنّ أبافراس قد تفوّق في الغزل، وأحد الأوصاف الّتي تلازم غزليات أبي فراس هي الرّقة؛ لأنّه يعرف الأحاسيس البشرية ويعبّر عنها بسهولة وموقفه في الغزل موقف الحزن والكآبة؛ إذن يلجأ إلى البكاء ويبرز شوقه إلى الحبيب (أنظر: مروة، ١٩٩٠، صص٧٠-٧٤).

وكما قلنا أنّ أبا فراس يريد من الآخرين البكاء والمشاركة في أحزانه:

خَلِيـلَيَّ، لِـم لَـا تَبكيَـانِي صَبَابَـةً ... أَأَبدَلتُـمَا بِـالأَجرَعِ الفـَرد أجرَعَـا؟

إذن هو حسب تعبير علماء النفس يقع في حالة الانتماء[1] فهو يريد من خلّانه المساعدة، والمشاركة في همومه، وذرف الدموع على حالته المحزنة حتّى يقلّلوا شيئاً من قلقه وحزنه.

ب. دراسة نفسية للمقطع الثاني من القصيدة

وفي المقطع الثاني يصف الشاعر حالاته النفسية في السجن:

٧. وَهَبـتُ شَبَـابِي، وَالشَّبَـابُ مَضِـنَّةٌ ... لَأَبلَـجَ مِـن أَبنَـاءِ عَمِّـي، أَروَعَـا!

٨. أَبِيـتُ، معـنى، مِـن مَخَـافَةِ عَتـبِهِ ... وَأُصـبِحُ مَحـزُوناً، وَأُمسِـي مُرَوَّعَـا!

٩. فَـلَمَّا مَـضَي عَصـرُ الشَّبِيبَةِ، كُلُّـهُ ... وَفَارَقَنِـي شَـرخُ الشَّبَـابِ مُوَدِّعَـا

١٠. تَطَلَّبـتُ بَيـنَ الهَجـرِ وَالعَتبِ فُرجَةً ... فَحَـاوَلتُ أَمـراً، لَـا يُـرَامُ، مُمَنَّـعَا

١١. فَلَـو أَنَّ أَسـرِي بَيـنَ عَـيشٍ نَعِمتُـهُ ... حَمَلـتُ لِـذَاك الشَّهدِ ذَا السُّم مُنقَعَا

---

١. Affiliation، «الانتماء هو التقارب الحميمي بما في ذلك المزاملة والمرافقة. والدّلالة دائماً إيجابية؛ والصحبة يلازمها التعاون والرفقة» (ريبر، ٢٠٠٨، ص١٦).

١٢. وَلَكن أصَابَ الجُرحُ جِسماً مُجَرَّحاً وَصَادَفَ هَذَا الصَّدعُ قَلباً مُصَدَّعَا
١٣. وَصِرتُ إذَا مَا رُمتُ فِي الخَيرِ لَذَّةً تَتَبَّعتُهَا بَينَ الهُمُومِ، تَتَبُّعَا
١٤. وَهَا أنَا قَد حَلَّي الزَّمَانُ مَفَارِقِي وَتَوَّجَنِي بِالشَّيبِ تَاجاً مُرَصَّعَا
١٥. فَلَو أنَّنِي مُكنتُ مِمَّا أُرِيدُهُ مِنَ العَيشِ يَوماً، لَم يَجِد فِيَّ مَوضِعَا
١٦. أمَا لَيلَةٌ تَمضِي وَلَا بَعضُ لَيلَةٍ! أسُرُّ بِهَا هَذَا الفُؤَادَ المُفَجَّعَا؟
١٧. أمَا صَاحِبٌ فَردٌ يَدُومُ وَفَاؤُهُ! فَيُصفِي لِمَن أصفَي، وَيَرعَي لِمَن رَعَي؟
١٨. أفِي كُلِّ دَارٍ لِي صَدِيقٌ أوَدُّهُ إذَا مَا تَفَرَّقنَا حَفِظتُ وَضَيَّعَا؟

(الدويهي، ١٩٩١، صص٢٠٨-٢٠٩)

والفكرة الرئيسية في هذه الأبيات هو الحديث عن أيام شباب الشاعر وجفاء أصدقائه في أيام الحزن وهذه الفكرة تنقسم إلى أفكار جزئية منها:

- الحسرة بسبب مضي أيام الشباب؛
- إظهار الحزن؛
- الخوف من عتاب سيف الدولة؛
- تخلّي أصدقائه عنه في أيام الحزن.

نلاحظ أنّ الأفكار في هذا المقطع ناتجة عن شعور الشاعر بالغربة والحزن والشعور بالشيخوخة. فرغم أنّ هذه القصيدة أنشدت في أيام شباب الشاعر وكان عمره خمسة وثلاثين عاماً لكنّه يشعر بالشيخوخة. إنّ الشاعر يريد أن يبالغ في وصف حالاته ويستقطب انتباه المخاطب وترحّمه، وبهذا السبب أشار إلى المشيب.

«هناك مسألة وهي مصدر الغربة وسببه؛ للغربة أبعاد ومظاهر ذكرها علماء النفس والاجتماع[١] ...؛ منها الشعور بالعجز[٢]». فيقول أبوفراس في المقطع المذكور:

---

١. «إنّ أبعاد ومظاهر الغربة قد أجملت في خمسة مظاهر أساسية هي: العجز، واللامعني، واللامعيارية، والعزلة الاجتماعيّة، والاغتراب عن الذّات» (أنظر: الجبوري، ٢٠٠٨، ص١٨).

٢. Powerlessness، فهو شعور الفرد بأنّه لا حول ولا قوّة ولا يستطيع التأثير في المواقف الإجتماعية التي يواجهها ويعجز عن السيطرة على تصرّفاته وأفعاله ورغباته، ولا يستطيع أن يقدّر مصيره، ومن ثمّ يعجز عن تحقيق ذاته أو يشعر بحالة من الإستسلام والخنوع والعجز وفقدان القدرة هو توقّع الفرد بأنّه لا يملك القدرة على التحكم وممارسة الضبط، لأنّ الأشياء حوله تسيطر عليها ظروف خارجية أقوى منه، ويتولّد لديه شعور بالعجز والإحباط وخيبة الأمل في إمكانية التغيير» (الجبوري، ٢٠٠٨، ص١٨).

تَطَلَّبــتُ بَيــنَ الهَجــرِ وَالعَتــبِ فُرجَــةً فَحَــاوَلتُ أمــراً لَــا يُــرَامُ مُمَنّــعَا

فهو يتطلب بين الوحدة الناتجة عن هجر الأحبة وبين العتاب الذي يوجهه إليهم، فرصةً لإصلاح الأمور، لكنه يرى نفسه يسعى لأمر ممتنع لا يتحقق، فهكذا نلاحظ عجزه وعدم تمكنه من تغيير الأوضاع.

والمسألة الأخرى هي أنّ هناك فرص كثيرة في السجن للتأمل والتفكّر، وعادةً بسبب الجو السائد فيه يتأمّل المسجون في ماضيه ومستقبله، ويتأسّف على أعماله، كما يفعل أبوفراس فهو يسير في أيامه الماضية ثم ينظر إلى الحاضر ويرى أنّ شبابه مضى في إرضاء الملك والخوف من لومه وفي خدمة الأصدقاء، ولكن من دون جدوى فلم يحصل شيئاً من مداراته للملك وهذه المحاولات لا تؤدي له إلى نتيجة إلّا إعراض الملك وتفرّق الأحباب عن حوله. وهذا نوع من العودة[١] إلى الماضي.

فعلى هذا الأساس حينما الشاعر يتكلّم عن مضيّ الشباب، والخوف من العتاب، وجفاء الأصدقاء يريد به تقليل أحزانه ومواساة نفسه. إنّ الباعث على هذه الأفكار هي ظروف خاصة تفرض نفسها على الشاعر وهذه لا تختص بأبي فراس فحسب بل نراها عند أكثر الشعراء المسجونين؛ فيشير الشعراء السياسيون عادةً في السجن إلى عدم الوفاء ونقض العهد؛ لأنّ أكثر الأصدقاء والأقرباء يعرضون عنهم ويتركونهم وحيدين في الأزمات ويظهرون عداوتهم إزاءهم. بهذا السبب يواجه الأصدقاء والأقرباء شكوى المسجونين وإكثار الحديث عن مفارقتهم وإقلال الحديث عن محبتّهم لأنّ عدد الأصدقاء المخلصين لهم قليل (آباد، ١٣٨٠، ص٢٠٤)، ويعتبر أبوفراس من هؤلاء الشعراء الذين ينشدون القصائد في هذا الباب؛ فهو إكتسب تجارب كثيرة في السجن وعرف الطبيعة المتلوّنة للإنسان وبرز له عدم ثباته، إذن نرى في أشعاره أنّه يعتقد بعدم الإعتماد على الأصدقاء لأنّ طبيعة الدنيا تجعل الإنسان خادعاً وخائناً (أنظر: الدويهي، ١٩٩١، صص٢٠٦-٢٠٧).

إضافة على هذا نرى آهات الحسرة متصاعدة من قلب الشاعر؛ لأنّه يرى نفسه بريئاً لا

---

١. Regression، في علم النفس «هناك حالة هامة، هي الرجوع إلى الماضي، وهذه الحالة في المباحث السايكلوجية تسمّى بالعودة وهو رجوع مؤقت إلى حالة نفسية سابقة لاتحصل في الذهن فحسب، بل يعيش فيها الشخص مرّة أخرى. إنّ حالة العودة إلى الماضي يمكن أن تكون عودة إلى تجربة مؤلمة أو سعيدة، وهذه عملية دفاعية تبعد الأفكار عن المشاكل الجارية» (تالسين، ١٣٨٧، ص٤٤).

ذنب له غير مستحقٍّ للجفاء والوحدة. كل هذه الأحاسيس تجعله يبكي ويحزن ويشعر بالشيخوخة ويشكو من عدم وفاء الأصدقاء. وينشأ نجواه مع النفس عن لهيب النار الذي يضرم في قلبه ثمّ يشتد ليكون دواءً لإزالة الهموم التي تجعله وحيداً.

وأيضاً نشاهد شيئاً من التشاؤم في الأبيات التي تشير إلى قسوة الأصدقاء وتناسيهم إيّاه؛ حيث يجعلهم جميعاً ممن لا يستمرّ وفاؤه:

أمَـا لَيـلَةٌ تَمـضِي وَلَـا بَعـضُ لَيلَـةٍ! أسُـرُّ بِهَـا هَـذَا الفـُؤَادَ المُفـَجَّعَا؟
أمَـا صَـاحِبٌ فـَرِدٌ يـَدُومُ وَفَـاؤُهُ! فيُصفِي لِمَن أصفَى، وَيَرعَى لِمَن رَعَى؟
أفِـي كـُلِّ دَارٍ لِـي صَـدِيقٌ أوَدُّهُ إذَا مَـا تَفَرَّقـْنَا حَفِظـْتُ وَضَـيَّعَا؟

فهو لا يجد صديقاً وفياً يرافقه ويفي بعهده.

والتصوير الذي يصورّه الشاعر في ذهن القارئ هو تصوير مليء بالغموم وكأنّ القارئ ينغمس في فضاء كئيب ويشاركه في أحزانه ويفهم مدى القسوة التي تعرّض لها الشاعر، كما نرى أنّ الألفاظ توافق المعنى تماماً.

ج. دراسة نفسية للمقطع الثالث من القصيدة

وفي المقطع الثالث يتحدّث عن أيام الأسر وعدم مفارقة الأصدقاء وقطع الأمل من سيف الدولة:

١٩. أقَمتُ بِأرضِ الرُّومِ عَامَينِ لَا أرَي مِـنَ النّـَاسِ مَـحزُوناً وَلَـا مُتَصَنِّـعَا
٢٠. إذَا خِفتُ مِن أخوَالِيَ الرُّومِ[1] خُطَّةً تَخَـوَّفتُ مِـن أعمَـامِي العُـربِ أربَعَـا
٢١. وَإن أوجَعَـتنِي مِـن أعَـادِيَّ شِـيمَةٌ لَقِيـتُ مِـنَ الأَحبـَابِ أدهَـي وَأوجَعَـا
٢٢. وَلَـو قَـد رَجَـوتُ اللَّهَ لَـا شَيءَ غَيرُهُ رَجَعـتُ إلى أعلـى وَأمَّلـتُ أوسَـعَا
٢٣. لَقَد قَنِعُوا بَعدِي مِنَ القَطرِ بِالنَّدَي وَمَـن لَـم يَجِـد إلَّـا القُنُـوعَ تَقَنَّـعَا
٢٤. وَمَـا مَـرَّ إنسـَانٌ فَأخـلَفَ مِثـلَهُ؛ وَلَكـن يُزَجِّـي النـَّاسُ أمـراً مُوَقَّـعَا

(الدويهي، ١٩٩١، ص٢٠٩)

وكما نرى أنّ الأفكار الجزئية في هذا المقطع هي عبارة عن:

- الحديث عن السجن؛
- عدم إهتمام الأصدقاء والأقرباء به في أيام الأسر؛

١. إنّ أمّ أبي فراس كانت رومية وأباه عربي، لذلك يقول: «أخوالي الروم» (الدويهي، ١٩٩١، ص٧).

- الوجع بسبب عدم وفائهم؛
- الندم بسبب عدم اتكاله على الله؛
- الحديث عن منزلته الرفيعة وفائدته للقوم والفخر بنفسه.

يتكلّم الشاعر بعد الحديث عن حالاته النفسية عن مدة الأسر، وهذا يلقي في ذهن القارئ المشاقّ التي تحمّلها أبوفراس؛ لأنّه كان أميراً فارساً ودائماً في الرحلة وكان يشارك في الحروب ويقاتل، أمّا الآن فحُبس كسمكةٍ في قارورة لا مفرّ منها. إذن نرى أنّ مصدر هذه الأفكار هو الشعور بالغربة حيث أصيب من جانب الأقارب بصدمة شديدة أثرّت في روحه وجعلتها مجروحة، أي نسيانهم وغفلتهم كانت أشّد من معاملة الأعداء. وفي هذا القسم نواجه معنى حكمياً من جانب الشاعر وهي الإستعانة بالله والإشارة إلى أنّ الله معنا في أيام الحزن ولكن الأقرباء أكثرهم يصاحبون المرء عند تمتعه باللذات، ويتفرقون من حوله فور أن تمضي هذه الأيام وعندما تحلّ المصائب.

ثم يشير الشاعر إلى أنّه أنجز خدمات كثيرة للآخرين ولكنهم أهملوا في تكريمه، وهذه الفكرة تأتي أهميتها من الأحداث التاريخية التي توالت بعد ذلك فالتاريخ أثبت أنّ العظماء خاملو الذكر ولكن من جانب إنساني إذا عمل شخص أعمالاً جديرةً لابّد أن نشكره ونكرمه، وهذه من القيم الإنسانية التي لم يلتزم بها أهل أبي فراس، فتعلّلُ سيف الدولة في خلاصه يثبت صحة هذه الفكرة.

كما إعتبر الشاعر نفسه بمنزلة المطر لقومه ونرى في هذا التشبيه نوعاً من الفخر بنفسه وإشارة إلى جوده وكرمه. وهذا الفن الشعري يلازم روميات أبي فراس في كثير من الأحيان.

لقد افتخر أبوفراس بقبيلته وقومه ونفسه وسبب هذا الفخر أوّلاً كان أنفة قبيلة آل حمدان ويجسّد هذا في الأشعار الذي أنشدها قبل الإسارة وثانياً تذكير دوره المثمر في القبيلة وهذا يمثّل كثيراً فيما أنشدَ في الأسر لإظهار المقدرة أمام قومه الذي كانوا ينكرون شأنه ومقامه (حريرچي وصدقي وملايي، ١٣٩٠، ص٩٠).

ونرى في هذه القصيده أنّ الشاعر يرى نفسه أفضل وأحسن من الآخرين، ولا يوجد بديلٌ له عند سيف الدولة. فالفخر عند أبي فراس يوحي إلى أنّه كان يميل إلى الفردانية[١]. وحينما ندقّق في

---

١. Individualism، الفردانية في مصطلح علم النفس «تتناول شرح سلوك الفرد تجاه البيئة» (شايان مهر، ١٣٧٧، ص٣٩٧) وهي نوع من الإعجاب والمباهاة بالنفس، وتعتبر حالة معقّدة.

أوصاف أبي فراس وسجيته وأعماله تتبين لنا قيمة هذا الفخر وصحته وليس هذا الفخر كذباً ولا وسيلة لخداعة الآخرين ولا نرجسية بل هو دليل على واقع حياة الشاعر ومنزلته الرفيعة الحقيقية.

د. دراسة نفسية للمقطع الرابع من القصيدة

وفي المقطع التالي يتحدّث الشاعر عن أيام السجن وغفلة سيف الدولة عنه، ويتكلّم مباشرة عن تعامل الملك معه ثم يبدأ بنصيحة الملك حيث يقول:

٢٥. تَنَكَّرَ سَيْفُ الدِّينِ لَمَّا عَتَبْتُهُ ... وَعَرَّضَ بِي، تَحتَ الكَلَامِ وَقَرَّعَا
٢٦. فَقُولَا لَهُ: مِن أَصدَقِ الوُدِّ أَنَّنِي ... جَعَلْتُكَ مِمَّا رَابَنِي الدَّهرَ مَفزَعَا
٢٧. وَلَو أَنَّنِي أَكتَنُّهُ فِي جَوَانِحِي ... لَأَورَقَ مَا بَينَ الضُّلُوعِ وَفَرَّعَا
٢٨. فَلا تَغتَرِر بِالنَّاسِ! مَا كلُّ مَن تَرَى ... أَخُوكَ إِذَا أَوضَعتَ فِي الأَمرِ أَوضَعَا!
٢٩. وَلا تَتَقَلَّد مَا يَرُوعُكَ حَلِيُهُ ... تَقَلَّد إِذَا حَارَبتَ مَا كَانَ أَقطَعَا!
٣٠. وَلا تَقبَلَنَّ القَولَ مِن كلّ قَائِلٍ! ... سأُرضِيك مرأي لستُ أُرضِيك مسمعَا

(الدويهي، ١٩٩١، صص٢٠٩-٢١٠)

الفكرة المحورية في هذا المقطع نصيحة سيف الدولة وتذكيره بالأعمال التي مارسها لأجله، والأفكار الجزئية المطروحة فيه هي:

- عتاب سيف الدولة؛
- تقديم النصيحة لسيف الدولة؛
- تحذيره عن الإستماع إلى أقوال الوشاة؛
- عدم الإعتماد على الأصدقاء والأقرباء.

وفي هذا المقطع يميّز الشاعر بين سيف الدولة وناقضي العهد أي الأقرباء؛ لأنّ ودّه لايزال باقياً في قلب الشاعر فهو لايقطع حبل المحبّة بعدُ، فهذا الحب دفعه إلى نصيحة الملك حتّى لا يواجه المشاكل في الأيام الآتية من جانب الوشاة ومن يحيطه من المتظاهرين، ويبرز شفقته للملك معبراً عن أحاسيسه بكل رقّة وعطوفة؛ لأنّه كان بمنزلة أبٍ له كفله منذ صغره، فالإبن لا يضيق صدره بأبيه حتّى إذا جفا عليه أبوه.

وهنا يبرز لنا الأسلوب المتداول عند الشاعر لإفادة المعنى وهو الحوار؛ إذ كان الحوار عند الشاعر وسيلةً للتعبير عمّا يشعره من الوحدة والغربة سواء مع سيف الدولة الحمداني أم في أسره عند الروم. إنّه تناول الحوار بصيغه وأشكاله المختلفة، من بين هذه الصيغ نرى أنّه إستخدم صيغة

الطلب كالأمر والنهي والنداء والإستفهام والفائدة التي تعود إلينا منها هي تنبيه المتلقّي والطلب المباشر من الطرف المقابل (أنظر: محمود يونس، ٢٠٠٦، ص٢٣٣). فاستعمال صيغ النهي مثل: لاتغترر، لا تتقلّد ولا تقبلنّ، وأيضاً النداء مثل: يا صادق الودّ يؤيّد هذا الأمر، حيث يقلّل الخطاب من الإحساس بالغربة والوحدة؛ إذ يستدعي الخطاب صورة ذهنية من المخاطب بين جدران السجن.

في الحقيقة يريد أبوفراس باستعمال صيغ النهي أن يسوق سيف الدوله إلى الدقّة في اختيار العمّال والأصدقاء، أن يوجّه الملك إلى التمييز بين من يكون مخادعاً ومن يكون صادقاً، حتى يعرف مَن يوقع العداوة بينه وأبي فراس ومَن يعينه في الشّدة، فدوام كل حكومة يحتاج إلى مناصرين يكونون صادقين في أعمالهم وأقوالهم كما يحتاج سيف الدولة إلى هؤلاء الأشخاص لاستمرار حكمه. فنصيحة أبي فراس قد تنبع من مودّته بالنسبة إلى الملك رغم إعراضه عنه؛ فلربّما هذا الأمر يؤثّر في سيف الدولة ويغير موقفه إزاء الشاعر الأسير؛ فإذن الغرض من النهي هنا هو الدعاء.

ومن جانب آخر إذا اعتبرنا الغرض من النهي هنا، توبيخاً يتبين لنا أنّه يسعى لأن يدافع عن حقوقه بطرق مختلفة. فهو يستحق محبة سيف الدولة، إذن بالشجاعة في الكلام ـ ومن دون الإنتهاك بحرمته ـ يظهر له عدم مقدرته في معرفة الأقرباء. وفي الحقيقة إحدى الأوصاف الشخصية التي تظهر لنا في هذا المقطع من القصيدة، هي التجاسر[١]، وهذه الميزة هي من ملازمات شخصية أبي فراس لأنه فارس وشجاع ويجب أن يكون فيه الجرأة.

هـ. دراسة نفسية للمقطع الخامس من القصيدة

وفي المقطع الأخير يمدح سيف الدولة ويذكر النعم الّتي قدمها له سابقاً وهو يقول:

٣١. فَلِلّـــهِ إحسَـــانٌ عَـــليّ وَنِعمـــَةٌ ... وَلِلّـهِ صُنـعٌ قَدكفَـانِي التَصَنُّعَـا
٣٢. أرَاني طَرِيـقَ المَكرُمَـات، كمَـا رأى ... عَلِيٌّ، وَأسمَـاني على كلّ مَـن سَعَى
٣٣. فَـإن يَـك بـُطءٌ مـرّة فَلَطَالَـمَا ... تَعَجَّـلَ نحـوِي بالجَمِـيلِ وَأسـرَعَا
٣٤. وَإن يجـفُ فـي بَعـضِ الأمُورِ فإنّني ... لأشـكرُهُ النّعمَـى الـتي كـانَ أودَعَـا
٣٥. وَإن يستَجِدُّ النّاسَ بَعدي فلا يزَل ... بـذاك البَـديل، المُستَـجَدِّ، مُمتَّعَـا!

(الدويهي، ١٩٩١، ص٢١٠)

١. Assertiveness، «التجاسر إحدى الأوصاف السلوكية التي تكون من مميزاتها التعامل الإجتماعي الإيجابي للدفاع عن الحقانية أو الوصول إلى الحق» (برونو، ١٣٨٤، ص١٠٥).

والفكرة المحورية في هذا القسم الرجاء إلى إفتداء سيف الدّولة ويتفرّع منها الأفكار الجزئية التالية:

- الإشارة إلى إحسان الله له؛
- الإشارة إلى إحسان سيف الدولة له؛
- الأمل في إلتفات الملك إلى الشاعر؛
- الإشارة إلى ما أعطاه الملك فيما قبل؛
- طلب الخير لسيف الدولة.

إذن في بداية المقطع بعد التلميح إلى إحسان الله له يعود الشاعر ليمدح سيف الدولة بعد أن لامه في المقطع السابق، فنراه يقول:

أرَاني طَرِيــقَ المَكرُمَــاتِ، كمَــا رأى عَلِـيٌّ وَأسمَـاني علـى كـلّ مَـن سَـعَى

وكما رأينا أن الشاعر يحدثنا عن قسوة سيف الدولة حيناً وعن مكارمه وجوده حيناً آخر؛ فلابّد لنا أن نبرّر مصدر هذه التناقضات؛ وهو العقل اللاوعي[1]؛ حيث يطرد المرء الفكر الذي لا يعجبه وينزعج عنه إلى العقل اللاوعي، لكن هذه الأفكار لا تتخلّى عنه وتظهر أحياناً وهذا ما يسمّى بـ«الزلّات السلوكية»[2] (شايگان فر، ١٣٨٤، ص١٠٥).

إذن هذه الأفكار المتناقضة تسيطر على الشاعر بسبب الجو السائد في السجن والبعد عن أهله فهو لايستطيع أن يتغلب على ما يعذّبه، وليس بإمكانه نسيان قسوة الأقارب.

وفي هذا المقطع يشعر الشاعر بالهدوء فتقلّ إضطراباته النفسية لأنه يشير إلى احسان سيف الدوله ولهذا استعمل من صيغة التعجب لتعظيم شأنه وأعماله.

ربّما يكون قصد الشاعر من ذكر إحسان سيف الدوله ونعمته هو طلب الودّ عنه، كما قلنا سابقاً إنّ الغرض من العتاب هنا طلب إبقاء الملك على الودّ، فحاول في هذا الأمر دون أن يلجأ إلى التصنّع والرئاء.

حينما يقوم بتذكير ما فعل إبن عمه في حقه في الأيام التي كان عاملاً عنده، يريد مواساة نفسه وهدوئه والتقليل من إضطرابه وأيضاً يبرز إجلاله لسيف الدولة. وهكذا يمثل

---

1. Unselfconscious
2. Freudianslip

هذا المقطع تفاؤل أبيفراس فهو يظهر في هذه الأبيات الخمسة أمله في إلتفات الملك إليه، من بينها البيت التالي:

فَلِلّـــهِ إحسَـــانٌ عَـــليّ وَنِعمـــَةٌ وَلِلّـهِ صُنـعٌ قَـد كفَـانِي التَصَنُّعَـا

حيث يشير إلى إحسان الله له، والتفاؤل هو نزعة داخل الفرد للتوقع العام لحدوث الأشياء الإيجابية أكثر من حدوث الأشياء السلبية. المتفائلون في مواجهة المشاكل يبحثون عن الأهداف السامية ومن خلال توظيف آليات التأقلم المؤثرة، يستخدمون قدراتهم الذاتية حتى يتمكنوا من الوصول إلى أهدافهم (ارجمند نيا وخانجاني ومحمودي؛ نقلاً عن: شي ير وكارور وبريجز، ١٣٩١، ص٥٠).

هذا وكان سيف الدولة بمنزلة أب لأبي فراس لأنّه ربّاه وكفله؛ بهذا السبب نرى عند الأمير إحساساً غامضاً أي الشعور بالحبّ والوفاء والإشتياق فيرسل رسالته إلى سيف الدولة ويعتبر فيها نفسه أحد ندمائه وأقرب الناس إليه، إذن لا قدرة له على إقناع إعراض الملك، فيبرّر دائماً عدم التفاته ويعترف بإحسان سيف الدولة إليه فيما سبق:

فَـإن يَـك بـُطءٌ مـرّةً فَلَطَالَـمَا تَعَجَّـلَ نحـوِي بالجَمِـيلِ وَأَسـرَعَا

(أنظر: شرف الدين، ج٤، ٢٠٠٠، صص ٧٦-٧٨)

وهكذا يبرّر جفاءه ونسيانه أوّلاً للحصول على السكينة في قلبه، وثانياً لحصول الإطمئنان عند الملك، إنّه لم ينس ألطافه، وثالثاً هو يبقي وافياً ولم ينكر موهبات الملك. ربمّا بهذا الطريق يهيئ الأرضية لرجوع سيف الدولة إليه وفي البيت الأخير قد دعاه حتّى يثبت أنّه لا يفزع بسبب مقامه بل يتمنّى أن يفوق الملك بواسطة من يكون بديلاً منه.

وهكذا تتبين في هذه القصيدة أوصاف الشاعر منها: فروسيته وشجاعته وفضله وكرمه. وبهذا السبب اشتهر بالشاعر والفارس، وهاتان الصفتان تأتيان معاً في وصفه، فيشير الشاعر في القصيدة المذكورة إلى فروسيته ويشير تلويحاً إلى ما أنجزه في الدفاع عن ثغور مُلك المَلِك، وقد ظهرت شخصيته قويّةً حيث لا يلجأ إلى التملق للخلاص، بل أوّلاً بدأ بوصف الظروف التي يعيش فيها، ثانياً يعبّر عن الأحاسيس المؤلمة التي تسيطر عليه وتجعله محزوناً، ثالثاً يتحدث عن مسبّبي هذا الأسر وهم الوشاة ومعاندوه، ورابعاً يكشف عمّا يكون في باطنه من المحبّة إلى الملك بوضوحٍ وصدقٍ، ويشير أخيراً إلى أمله بسيف الدوله في أن يفتح له طريق الخلاص.

وعندما ندقّق في القصيدة تبرز لنا الحالات النفسية للشاعر؛ فيمكننا القول أنّه أبتلي بازدواجية الفكر[١]. والملفت للنظر في هذا المجال هو أنّه متردّد في صور مختلفة بين الضعف والقوّة، بين الخوف والجرأة، بين التشاؤم والتفاؤل، وبين لوم سيف الدولة ومدحه.

وقد تبيّن لنا أنّ الغرض من إنشاد القصيدة هي إثارة ترحّم الملك وترغيبه في الفداء والعتاب لطلب المودّة، أمّا بالنسبة إلى حالاته النفسية فيمكن القول أنّه يستفيد من آلية الدفاع عن النفس[٢] وإنّ استعمال آلية الدفاع عن النفس ليست سمة للأمراض النفسية، لأنّه تلعب دوراً جوهرياً في إرتياح النفس للإنسان في كثير من الأحيان. في الحقيقة تعتبر آلية الدفاع عن النفس نوعاً من المعاملة الحسنة بشرط عدم الإفراط في إستعمالها (پ‌ور أفكاري، ١٣٧٣، ص٣٧٢). وإنّ الأشخاص يستفيدون منها لمحافظة أنفسهم أمام الأفكار المؤلمة، كما لاحظنا أن أبا فراس الحمداني وظّف بعض الآليات الدفاعية منها الإنتماء والفردانية في مواجهة الظروف القاسية التي كان يكابدها في السجن.

## النتيجة

١. إنّ مصدر الأفكار في قصيدة لوم وعتاب هو الغموم والأحزان التي سيطرت على أبي فراس في الأسر وهذه كلّها أدّت إلى الأحاسيس المتناقضة منها الضعف والقوّة والتشاؤم والتفاؤل.
٢. من الأغراض الشعرية عند أبي فراس هي العتاب، وهنا يكون بمعنى طلب الإبقاء على الودّ والمراعاة فلم يقصد بها معناه السلبي أي لوم الملوم لإستصغاره وتقليل شأنه.
٣. إنّ الأفكار قد جاءت في ترتيب منطقي، ولكل منها معنى إنساني وتعبر عمّا يواجهه الإنسان بعض الأحيان كمفارقة الأصدقاء وعدم وفائهم عند المشاكل، وعدم إلتفاتهم إلى من يتمتع بمكانة رفيعة، والتوكّل إلى الله، ومصدر الأفكار هو قلب متألم فهو يعبر عن تجربته الذاتية بصورة مؤثرة؛ حيث يتأثر القارئ بها.

---

١. Dysgraphe، وازدواجية الفكر هي «وجود الميل والإحساس المفرط أو شعوران متناقضان تجاه شخص أو شيء في آنٍ واحد. وهذا الأمر يمكن أن يكون في العقل الوعي أو العقل اللاوعي» (جمعي از اساتيد روانشناسي، ١٣٦٩، ص٢٦٢).

2. Defensemechanisms

٤. كان الفخر من فنونه التي لم ينفك عنها، فهو يفتخر دوماً بنفسه؛ لأنّه ذو شخصية قوية ويكون أميراً فارساً لا يحبّ الإذلال، إذن يفتخر بنفسه تلميحاً. ومن العوامل التي تسبب الفخر في الشاعر هي الفردانية أي الإعجاب والمباهاة بالنفس.

٥. كان الحوار عند الشاعر وسيلة لتقليل آلامه ونسيان غربته وانفراده، فيستفيد منه بأساليب مختلفة وصيغ متنوعة، ومن بين هذه الصيغ نرى أنه إستخدم صيغة الطلب كالأمر والنهي والنداء والاستفهام؛ وباستعمال هذه الصيغ يخاطب سيف الدولة أكثر من الآخرين.

٦. إنّ المعاني والألفاظ والتراكيب توافق غرض الشاعر لأن الغرض من إنشاد القصيدة هي إثارة ترحم الملك وترغيبه على الفداء، والتراكيب قد جاءت مطابقةً له. وأيضاً تسيطر عليه الحالات الشعورية التي تطابق الغرض وهي إنتماؤه ورومنسيته وشعوره بالغربة.

٧. يعتبر الشاعر في هذه القصيدة شاعراً عاطفياً؛ لأنّه يعبر عن شعوره بالألم والبكاء بكل صدق دون أي تملّق وتصنّع، إذن تكون عاطفته جياشة، ومؤلمة ومؤثّرة في النفوس.

٨. من بداية القصيدة إلى نهايتها تتغلّب على الشاعر حالات نفسية مختلفة منها: الإنتماء والفردانية والتفاؤل، والتجاسر وازدواجية الفكر؛ فالإنتماء فيه يؤدي إلى دعوة الناس للمشاركة في أحزانه، والفردانية تسبّب الفخر والمباهاة، والتفاؤل ينبت في قلبه بذرة الأمل إلى الخلاص، والتجاسر يهيئ الأرضية لنصيحة سيف الدولة وتشجيعه على الإفتداء، وإزدواجية الفكر تسبّب ظهور أحاسيس متناقضة إزاء سيف الدولة.

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. آباد، مرضيه (١٣٨٠ش). حبسيه سرايي در ادب عربي از آغاز تا عصر حاضر. مشهد: دانشگاه فردوسي.

٢. ابن خلّكان، أبو العباس (١٣٦٤ش). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق إحسان عباس، ج ٢، ط ٢، قم: منشورات الشريف الرضي.

٣. أرجمند نيا، علي اكبر؛ خانجاني، مهدي؛ محمودي، مريم (١٣٩١ش). اميد واميدواري. طهران: دفتر مطالعات فرهنگي وبرنامه ريزي اجتماعي وزارت علوم تحقيقات وفناوري.

٤. البستاني، بطرس (١٩٨٩م). أدباء العرب في الأعصر العباسية. ج ٢. بيروت: دار نظير عبود.

٥. برونو، فرانك (١٣٨٤ش). فرهنگ توصيفي روانشناسي. ترجمة فرزانه طاهري؛ مهشيد ياسائي، ط ٣، طهران: ناهيد.

٦. پور افكاري، نصرت الله (١٣٧٣ش). فرهنگ جامع روانشناسي- روانپزشكي وزمينه‌هاي وابسته. ج ١، طهران: فرهنگ معاصر.

٧. تالسين، لوئيس (١٣٨٧ش). نظريه نقد ادبي معاصر. ترجمة مازيار حسين زاده؛ فاطمه حسيني، طهران: نگاه امروز؛ حكايت قلم نوين.

٨. ثعالبي، ابو منصور (١٩٥٦م). يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. ج ١، ط ٢، القاهرة: مطبعة السعادة.

٩. الجبوري، يحيى (٢٠٠٨م). الحنين والغربة في الشعر العربي. عمان: دار مجدلاوي.

١٠. جمعي از اساتيد روانشناسي (١٣٦٩ش). دائرة المعارف روانشناسي. ترجمة واقتباس عنايت الله شكيبا پور. ط ٤، طهران: فروغي.

١١. حريرچي، فيروز؛ صدقي، حامد؛ ملايي، علي اكبر (١٣٩٠ش). تصوير فخر در سروده‌هاي ابوفراس حمداني. مجله انجمن ايرانى زبان وادبيات عربي، العدد ١٨.

١٢. الدويهي، خليل (١٩٩١م). ديوان أبي فراس الحمداني. بيروت: دار الكتاب العربي.

١٣. ريبر، آرثر أس؛ ريبر، ايملي (٢٠٠٨م). المعجم النفسي الطبي. ترجمة عبد العلي جسماني؛ عمار الجسماني. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.

١٤. الزغول، محمد أحمد (١٣٨٢ش). أغراض حبسيه در أدبيات عربي وفارسي با تكيه بر حبسيات ابوفراس حمداني ومسعود سعد سلمان. نشريه نامه پارسي، السنة الثامنة، العدد ٤.

١٥. شايان مهر، عليرضا (١٣٧٧ش). دائرة المعارف تطبيقي علوم اجتماعي. ج ١، طهران: انتشارات كيهان.

١٦. شايگان فر، حميدرضا (١٣٨٤ش). نقد ادبي، ط ٢، طهران: دستان.

١٧. شرف الدين، خليل (٢٠٠٠م). الموسوعة الأدبية الميسرة: أبوفراس الحمداني. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

١٨. شريف رازي، ح (١٣٨٧ش). نقش ملامت در زندگي. قم: برگزيده.

١٩. الطاهر، علي جواد (١٩٧٩م). مقدمة في النقد الأدبي. [دون مك]: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٢٠. فروخ، عمر (٢٠٠٦م). تاريخ الأدب العربي. ج ٢، ط ٧. بيروت: دار العلم للملايين.

٢١. قطوس، بسام (٢٠٠٤م). المنهج النفسي في النقد الحديث- النقاد المصريون نموذجاً. الكويت: جامعة الكويت.

٢٢. محمود يونس، ساهرة (٢٠٠٦م). الحوار في شعر أبي فراس الحمداني (دراسة تحليلية). مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد ٣، العدد ٣.

٢٣. المركز الثقافي اللبناني (دون تا). سلسلة شعراء العرب ديوان أبي فراس الحمداني. بيروت: المركز الثقافي اللبناني.

٢٤. مروّة، محمد رضا (١٩٩٠م). أبوفراس الحمداني الشاعر الأمير. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٥. مندور، محمد (دون تا). في الأدب والنقد؛ الفجالة. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر.